العددِ 18A1 ايلول 2025
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254
.2025 18A-1 No.

المعية الإلهية في زمن الابتلاء وأثرها في بناء اليقين دراسة عقدية.

أ.م.د. أحمد عباس محمد
كلية الامام الاعظم الجامعة/ قسم أصول الدين بنات

Divine Companionship in Times of Trial and Its Impact on Building Certainty: A Doctrinal Study

Asst. Prof. Dr. Ahmed Abbas Mohammed
Al-Imam Al-Aʿzam University College / Department of Fundamentals of Religion (Women's Section)

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة مفهوم المعية الإلهية في ضوء العقيدة الإسلامية، وبيان أثر استحضارها في بناء اليقين العقدي لدى المؤمن في أزمنة الابتلاء، وينطلق البحث من تأصيل هذا المفهوم تأصيلاً عقدياً دقيقاً، من خلال بيان معناه اللغوي والاصطلاحي، وأقسامه وضوابط فهمه، مع الكشف عن موقعه في البناء العقدي الإسلامي بعيداً عن مسالك التشبيه والتعطيل، كما يتتبع البحث دلالات المعية الإلهية في النصوص القرآنية والحديثية، محلِّلاً سياقاتها المرتبطة بالشدائد والاختبارات التي يمر بها الإنسان، ومبرزاً ما تنطوي عليه من معانٍ عقدية تؤكد قرب الله تعالى من عباده علماً ونصراً وتأييداً، ويعالج البحث كذلك سنّة الابتلاء في القرآن الكريم بوصفها من السنن الإلهية الجارية في حياة الأفراد والأمم، مبيّناً أنَّ استحضار المعية الربانية يشكّل مرتكزاً إيمانياً عميقاً يعزز الثبات ويعمّق اليقين، ومن خلال تحليل نماذج قرآنية بارزة تجلّت فيها المعية الإلهية في لحظات الشدة – كقصة موسى عليه السلام عند البحر، وموقف النبي ﷺ- في الغار – يسعى البحث إلى إبراز أثر هذا المفهوم في تشكيل وعي المؤمن بالله تعالى في أوقات المحنة.، ويخلص البحث إلى أنَّ المعية الإلهية تمثل في التصور العقدي الإسلامي منظومة طمأنينة إيمانية، تسهم في بناء اليقين وترسيخ الصلابة الروحية، بما يمكّن المؤمن من مواجهة الابتلاءات بثقة راسخة بالله تعالى واستحضار دائم لقربه وتدبيره.

Abstract

This study investigates the concept of Divine Ma'iyyah (Divine companionship/presence) within Islamic theology and explores its role in cultivating theological certainty during times of trial. The research seeks to establish a rigorous doctrinal foundation for this concept by clarifying its linguistic and technical meanings, outlining its categories, and explaining the methodological framework adopted by Sunni theologians in affirming it without anthropomorphism or negation. Furthermore, the study analyzes the theological implications of Qur'anic verses and Prophetic traditions that reference divine companionship, particularly within contexts of hardship, testing, and existential challenge.

الكلمات المفتاحية:

المعية الإلهية – الابتلاء – اليقين العقدي – سنن الابتلاء – الطمأنينة الإيمانية

Divine Companionship (Ma'iyyah) – Trial – Theological Certainty – Divine Trials – Spiritual Reassurance

المقدمة

الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علماً، وقهر الخلق قدرةً وحكماً، وجعل لعباده في سنن الابتلاء سبيلاً إلى التمحيص والتمكين، وأودع في الإيمان به واستحضار معيته سكينةً للقلوب وثباتاً للنفوس، نحمده سبحانه حمداً يليق بجلاله وكماله، ونستعينه ونستهديه، ونصلي ونسلم على سيدنا محمدٍ المبعوث رحمةً للعالمين، الذي رسَّخ في قلوب المؤمنين حقيقة المعية الإلهية في أشد لحظات الشدة والابتلاء، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أمَّا بعد؛ فإنَّ من القضايا العقدية العميقة في البناء الإيماني للمسلم قضية المعية الإلهية، لما تحمله من دلالات تتعلق بقرب الله تعالى من عباده علماً ونصراً وتأييداً، وما تتركه من أثر بالغ في ترسيخ اليقين في نفوس المؤمنين، ولا سيّما في

أزمنة الابتلاء والشدائد، فالابتلاء سنّة إلهية ماضية في حياة الأفراد والأمم، به يتميز الصادق من المدّعي، وبه تتجلى حقائق الإيمان في القلوب، ومن هنا تبرز أهمية استحضار المعية الإلهية بوصفها مرتكزاً عقدياً يمدّ المؤمن بالقوة الروحية والطمأنينة الإيمانية، ويمنحه القدرة على مواجهة المحن بثبات ويقين، وانطلاقاً من هذه الرؤية جاء هذا البحث الموسوم بـ **"المعية الإلهية في زمن الابتلاء وأثرها في بناء اليقين: دراسة عقدية "**ليكشف عن الأبعاد العقدية لهذا المفهوم، ويبيّن أثره في بناء اليقين وترسيخ الصلابة الإيمانية في حياة المؤمن.

أولاً: أهمية الموضوع

تتجلى أهمية هذا الموضوع في كونه يتناول مفهوماً عقدياً أصيلاً يرتبط بجانب عميق من جوانب الإيمان بالله تعالى، كما تتأكد أهميته من خلال جملة من الاعتبارات، من أبرزها:

1. أنَّ المعية الإلهية من المفاهيم العقدية التي وردت في نصوص الوحي قرآناً وسنّة، مِمَّا يجعل دراستها تأصيلاً وفهماً من صميم مباحث العقيدة الإسلامية.
2. أنَّ استحضار المعية الإلهية يمثل أحد المرتكزات الإيمانية التي تعين المؤمن على الثبات في أزمنة الابتلاء والشدائد.
3. إبراز العلاقة الوثيقة بين الإيمان بالمعية الربانية وبين بناء اليقين العقدي في نفس المؤمن.
4. إبراز الأثر الإيماني والتربوي للمعية الإلهية في بناء الشخصية المؤمنة القادرة على مواجهة الأزمات والاضطرابات المعاصرة.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع

جاء اختيار هذا الموضوع لجملة من الدوافع العلمية، من أهمها:

1. إبراز البعد العقدي لمفهوم المعية الإلهية في سياق الابتلاء، وبيان أثره في ترسيخ اليقين الإيماني.
2. الحاجة إلى دراسة تجمع بين التأصيل العقدي والتحليل النصي للنصوص القرآنية والحديثية الواردة في المعية.
3. أهمية إحياء المفاهيم العقدية التي تعزز الطمأنينة الإيمانية في ظل ما يعيشه الإنسان المعاصر من اضطرابات وأزمات.
4. الرغبة في بيان السنن الإلهية في الابتلاء وعلاقتها بالمعية الربانية في حياة المؤمنين.
5. الإسهام في إثراء الدراسات العقدية ببحث يتناول هذا المفهوم في سياق علمي تحليلي متكامل.

ثالثاً: صعوبات البحث

لا يخلو البحث في مثل هذا الموضوع من جملة من الصعوبات، من أبرزها:

1. تداخل مفهوم المعية الإلهية مع مفاهيم عقدية أخرى كالعلم والإحاطة والقرب، مِمَّا يتطلب دقة علمية في تحرير المفاهيم وبيان الفروق بينها.
2. تباين مناهج العلماء في تناول هذا المفهوم بين مدارس التفسير والكلام، الأمر الذي يستلزم جمع الأقوال وتحليلها في ضوء المنهج العقدي الصحيح.
3. اتساع النصوص القرآنية والحديثية المتعلقة بسياقات الابتلاء والمعية، مما يقتضي جهداً في الانتقاء والتحليل والاستنباط.

رابعاً: فرضية البحث

ينطلق هذا البحث من فرضية علمية مفادها أنَّ استحضار المعية الإلهية في ضوء التصور العقدي الصحيح يسهم إسهاماً أساسياً في بناء اليقين لدى المؤمن زمن الابتلاء، وأنَّ هذا المفهوم – إذا فُهم في إطار ضوابطه العقدية – يشكل ركيزة إيمانية عميقة تعزز الثبات والطمأنينة في مواجهة المحن والشدائد.

خامساً: الدراسات السابقة

بحسب ما اطّلع عليه الباحث في حدود ما تيسّر له من المصادر والدراسات، لم يقف على دراسة علمية مستقلة تناولت موضوع **المعية الإلهية في زمن الابتلاء وأثرها في بناء اليقين** بهذا العنوان وبهذا التركيب البحثي، وإن كانت بعض الدراسات قد تناولت موضوع المعية الإلهية أو الابتلاء في سياقات عامة، إلا أنَّ الجمع بينهما في إطار دراسة عقدية تحليلية – بحسب هذا العنوان – لم يُفرد ببحث مستقل.

سادساً: هيكلية البحث

اقتضت طبيعة الموضوع أن يُقسَّم البحث إلى مبحثين رئيسين، يندرج تحتهما عدد من المطالب، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول :التأصيل العقدي لمفهوم المعية الإلهية وعلاقتها بالابتلاء.

المطلب الأول: مفهوم المعية الإلهية في العقيدة الإسلامية: حقيقتها وأقسامها وضوابط فهمها.
المطلب الثاني: المعية الإلهية في النصوص العقدية: تحليل دلالات الآيات والأحاديث في سياق الابتلاء.
المطلب الثالث: الابتلاء في السنن الإلهية وعلاقته بالمعية الربانية: قراءة عقدية في حكمة الابتلاء.
المبحث الثاني :أثر استحضار المعية الإلهية في بناء اليقين العقدي زمن الابتلاء.
المطلب الأول: المعية الإلهية ومقام اليقين: التحليل العقدي للعلاقة بين الإيمان بالغيب والثقة بالله.
المطلب الثاني: نماذج عقدية من القرآن في استحضار المعية زمن الشدائد.
المطلب الثالث: المعية الإلهية وبناء الصلابة الإيمانية في مواجهة الأزمات المعاصرة.
ثم يُختتم البحث بأهم النتائج التي توصّل إليها، والتوصيات العلمية ذات الصلة بالموضوع.

المبحث الأول: التأصيل العقدي لمفهوم المعية الإلهية وعلاقتها بالابتلاء

المطلب الأول: مفهوم المعية الإلهية في العقيدة الإسلامية: حقيقتها وأقسامها وضوابط فهمها

يُعدّ مفهوم المعية الإلهية من المفاهيم العقدية التي ترددت في نصوص الوحي تردداً لافتاً، لما تحمله من دلالات تتعلق بعلاقة الخالق سبحانه بخلقه، وما تثيره من معانٍ عقدية تتصل بقضايا العلم الإلهي، والإحاطة الربانية، والنصرة والتأييد، وقد عني علماء العقيدة ببيان هذا المفهوم وبيان حدوده وضوابط فهمه، لئلا يُفهم على وجهٍ يفضي إلى التشبيه أو الحلول، أو يؤدي إلى تعطيل النصوص عن دلالاتها الصحيحة، ومن هنا فإنَّ تأصيل مفهوم المعية الإلهية يُعد مدخلاً أساسياً لفهم كثير من النصوص القرآنية التي تقترن فيها المعية بسياقات الابتلاء والشدائد.

أولاً: تعريف المعية لغةً واصطلاحاً

المعية في أصلها اللغوي مأخوذة من مادة (مع)، وهي تفيد المصاحبة والمقارنة، يقول **ابن منظور**" :المع: كلمة تدل على المصاحبة والاجتماع ".[1]كما جاء في كتب اللغة أنَّ المعية قد تستعمل للدلالة على المصاحبة الحسية أو المعنوية، بحسب السياق الذي ترد فيه. ويذكر الراغب الأصفهاني أنَّ لفظ مع يدل على المصاحبة، غير أنَّ هذه المصاحبة قد تكون حقيقية وقد تكون معنوية بحسب المقام [2].

وعند الانتقال إلى الدلالة الاصطلاحية في مباحث العقيدة، نجد أنَّ العلماء لم يجعلوا للمعية تعريفاً اصطلاحياً منفصلاً عن دلالتها اللغوية، بل قرروا أنَّ معناها يُفهم في ضوء السياق الوارد في النصوص الشرعية، مع مراعاة تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، وقد تناول علماء الكلام هذا المفهوم في سياق الحديث عن الصفات الإلهية الواردة في النصوص.

يقول الإيجي في معرض بيانه لمعاني الصفات الواردة في النصوص: إن ما ورد من الألفاظ التي قد يتوهم منها التشبيه يجب حمله على ما يليق بجلال الله تعالى، مع الإيمان بثبوته من غير تشبيه ولا تجسيم [3]ومن هذا الباب تُفهم المعية الإلهية على أنَّها معية تليق بجلال الله تعالى، لا تقتضي حلولاً ولا اتحاداً، بل تدل على معانٍ كالعلم والإحاطة والنصرة.

وقد أشار التفتازاني إلى هذا المعنى عند شرحه لبعض النصوص المتعلقة بقرب الله من عباده، مبيناً أنَّ القرب والمعية الواردة في النصوص لا يراد بها القرب المكاني، لأنَّ الله تعالى منزّه عن المكان، وإنَّما يراد بها القرب المعنوي كالعلم أو النصرة أو الرعاية [4].

ومن هنا يتبين أنَّ المعية الإلهية في الاصطلاح العقدي تشير إلى قربٍ خاص يعبَّر عنه في النصوص الشرعية، ويفهم على نحوٍ يليق بجلال الله تعالى، ويُفسَّر في ضوء معاني العلم والإحاطة أو النصرة والتأييد بحسب السياق.

ثانياً: أنواع المعية الإلهية (العامة والخاصة)

عند استقراء النصوص الشرعية التي ورد فيها ذكر المعية، يتبين للباحث أنَّ العلماء قد ميّزوا بين نوعين رئيسين من المعية :المعية العامة والمعية الخاصة.

فالمعية العامَّة هي المعية التي تشمل جميع الخلق، وتدل على إحاطة الله تعالى بعباده علماً وقدرةً وتدبيراً. ومن أبرز النصوص الدالة عليها قوله تعالى: . **(هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ)** [5]

---

(1) لسان العرب، لابن منظور 8/ 329 .
(2) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ص 758.
(3) المواقف في علم الكلام للإيجي ص 299.
(4) ينظر: شرح المقاصد للتفتازاني 2/ 37.

وقد فسر كثير من المفسرين هذه المعية بأنَّها معية العلم والإحاطة.
يقول النسفي في تفسير هذه الآية :"أي معكم بعلمه وإحاطته، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم"[6]. وهذا التفسير يتفق مع ما قرّره علماء العقيدة من أنَّ الله تعالى محيط بخلقه علماً وقدرة.

أمَّا المعية الخاصة فهي معية تختص بطائفة من عباد الله، وتدل على معاني النصرة والتأييد والتوفيق. ومن أمثلتها قوله تعالى: **(إن الله مع الصابرين)** [7] **(إنَّ الله معَ المُتَقين)** [8]

ويذكر التفتازاني أنَّ هذه المعية الخاصة تدل على نوع من الرعاية الإلهية والتأييد الرباني، وهي معية تقتضي النصر والهداية والتوفيق لعباد الله المؤمنين[9] .

ومن هنا يظهر أنَّ تقسيم المعية إلى عامَّة وخاصة إنَّما هو تقسيم استقرائي مبني على دلالة النصوص، وهو تقسيم يساعد على فهم معاني الآيات والأحاديث فهماً صحيحاً بعيداً عن الإشكال.

ثالثاً: الفرق بين المعية والعلم والإحاطة

من المسائل المهمة في هذا التمييز بين المعية الإلهية وبين صفات أخرى كالعلم والإحاطة، ذلك أنَّ بعض العلماء قد يفسر المعية بالعلم، غير أنَّ هذا التفسير لا يعني أنَّ المعية هي نفس العلم، بل إنَّ العلم أحد معانيها التي قد تندرج تحتها بحسب السياق.

وقد أشار الإيجي إلى هذا المعنى حين قرَّر أنَّ الصفات الواردة في النصوص قد تحمل على معانٍ تليق بالله تعالى، وأنَّ تفسيرها لا يعني إلغاء مدلولها بل بيان وجهها الصحيح [10]

كما بيّن التفتازاني أنَّ حمل بعض الألفاظ الواردة في النصوص على معاني كالعلم أو القدرة إنَّما هو من باب تفسيرها بما يدل عليه السياق، لا من باب حصر المعنى فيها [11]

وعليه فإنَّ المعية قد تتضمن معنى العلم والإحاطة، لكنها قد تتضمن كذلك معاني أخرى كالنصرة أو الحفظ أو الرعاية، وهذا ما يتضح من خلال اختلاف السياقات القرآنية التي ورد فيها هذا اللفظ.

رابعاً: منهج أهل السنَّة في إثبات المعية بلا تمثيل ولا تعطيل

اتفق علماء أهل السنَّة على أنَّ النصوص الواردة في صفات الله تعالى يجب الإيمان بها كما جاءت، مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، وقد قرَّر أبو الحسن الأشعري هذا الأصل حين بيّن أنَّ الصفات الإلهية تثبت لله تعالى على وجه يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تعطيل [12].

كما أكد النسفي في مباحث العقيدة أنَّ الله تعالى منزه عن الجسمية والجهة والمكان، وأن كل ما يوهم التشبيه في النصوص يجب فهمه على وجه يليق بالله تعالى[13]

وقد بسط التفتازاني هذا المنهج في شرحه للعقائد النسفية، فقرر أنَّ طريق أهل السنَّة يقوم على الجمع بين إثبات النصوص وتنزيه الله تعالى، فلا يُرد النص ولا يُحمل على معنى يقتضي التشبيه، بل يُفهم في ضوء قواعد التنزيه[14].

ومن هذا المنطلق فإنَّ المعية الإلهية تُثبت لله تعالى كما وردت في النصوص، مع الاعتقاد الجازم بأنَّ هذه المعية ليست معية مكانية ولا حلولية، بل هي معية تليق بجلال الله تعالى وتدل على معانٍ كالعلم أو النصرة أو الرعاية بحسب السياق.

---

(5) سورة الحديد، الآية:4.
(6) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي 4/ 230.
(7) سورة البقرة، الآية : 185.
(8) سوة البقرة، الآية: 194.
(9) شرح العقائد النسفية للتفتازاني، ص 90.
(10) ينظر: المواقف للإيجي، ص 301.
(11) شرح المقاصد، للتفتازاني، 2/ 39.
(12) ينظر: الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، ص 43.
(13) العقائد النسفية، للنسفي، ص 25.
(14) ينظر: شرح العقائد النسفية، للتفتازاني، ص 88.

تبين لنا من خلال هذا العرض أن المعية الإلهية مفهوم عقدي أصيل في النصوص الشرعية، يقوم في أساسه على معنى المصاحبة المعنوية التي تليق بجلال الله تعالى. كما ظهر أن العلماء قد ميزوا بين معية عامة تشمل الخلق جميعاً بمعنى العلم والإحاطة، ومعية خاصة تختص بالمؤمنين والصالحين بمعنى النصرة والتأييد والرعاية.

المطلب الثاني: المعية الإلهية في النصوص العقدية: تحليل دلالات الآيات والأحاديث في سياق الابتلاء

تُعدّ النصوص الشرعية – قرآناً وسنّة – المنطلق الأساس في تقرير المفاهيم العقدية في الإسلام، إذ إنَّ العقيدة في جوهرها مبنية على الوحي وما تضمنه من دلالات تهدي إلى معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله، ومن بين المفاهيم التي تكررت في النصوص الشرعية مفهوم المعية الإلهية، حيث ورد في مواضع متعددة من القرآن الكريم والسنَّة النبوية، وغالباً ما جاء مقترناً بسياقات الشدائد والابتلاءات التي يمر بها المؤمنون، ومن هنا فإنَّ الوقوف عند هذه النصوص وتحليل دلالاتها العقدية يمثل مدخلاً مهماً لفهم حقيقة المعية الربانية وأثرها في حياة المؤمن، ولا سيما في أزمنة الابتلاء.

أولاً: الآيات التي وردت فيها المعية

ورد ذكر المعية الإلهية في عدد من الآيات القرآنية، بعضها يدل على المعية العامَّة التي تشمل الخلق جميعاً، وبعضها يدل على معية خاصة تتعلق بالمؤمنين أو بطوائف مخصوصة من عباد الله.

ومن أبرز الآيات الدالة على المعية العامة قوله تعالى: **(هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ)**

وقد تناول المفسرون هذه الآية بالبيان، فذكر النسفي أنَّ المقصود بالمعية هنا معية العلم والإحاطة، أي أنَّ الله تعالى مطلع على عباده لا يخفى عليه شيء من أحوالهم وأعمالهم[15]. وهذا التفسير يتفق مع ما قرره علماء العقيدة من أن الله تعالى محيط بخلقه علماً وقدرة وتدبيراً.

كما وردت المعية في سياق خاص يدل على النصرة والتأييد، ومن ذلك قوله تعالى:

(إن الله مع الصابرين) ، يقول البيضاوي في تفسيره: إنَّ هذه المعية تفيد المعونة والنصرة، أي أنَّ الله تعالى يمدّ الصابرين بالتأييد والتوفيق في مواطن الشدة[16]، وهذا المعنى يبرز البعد التربوي والإيماني للمعية الإلهية، إذ تجعل الصبر مقترناً بعناية الله تعالى وتأييده.

ومن المواضع التي تجلت فيها المعية في سياق ابتلائي شديد قول الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : **(كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)** [17]

وقد أشار الفخر الرازي إلى أنَّ هذه الآية تمثل نموذجاً جلياً لاستحضار المعية الإلهية في لحظة الخطر، حيث اجتمع في هذا الموقف خوف ظاهر من مطاردة فرعون مع يقين راسخ بمعية الله تعالى ونصره [18]وهذا يدل على أنَّ المعية الإلهية ليست مجرد مفهوم نظري، بل هي حقيقة إيمانية تتجلى آثارها في لحظات الشدة والامتحان.

ثانياً: ارتباط المعية بالسياقات الابتلائية

عند تأمل النصوص القرآنية التي ورد فيها ذكر المعية يتبين أنَّ كثيراً منها جاء في سياق الابتلاء والشدائد، وهو ما يكشف عن بُعد عقدي عميق في هذا المفهوم.

ففي قصة موسى عليه السلام عندما أدركه فرعون وجنوده قال قومه: **(إنا لمدركون)** [19]

لكن موسى عليه السلام أجابهم بثقة ويقين: **{كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ }**

وقد بيّن الرازي أنَّ هذا الجواب يعكس كمال اليقين بالله تعالى، إذ لم يعتمد موسى على الأسباب الظاهرة، بل استند إلى يقينه بمعية الله وهدايته [20]ومن أبرز النصوص التي تجلت فيها المعية الإلهية في سياق الابتلاء كذلك قوله تعالى في قصة الهجرة:(لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) [21] وقد ذكر القرطبي أنَّ هذه المعية معية نصرة وحفظ، إذ إنَّ الله تعالى تولى حفظ نبيه وصاحبه في تلك اللحظة الحرجة [22]

---

(15) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي 4/ 230.
(16) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي 1/ 177.
(17) سورة الشعراء، الآية: 62.
(18) مفاتيح الغيب للفخر الرازي 24/ 191.
(19) سورة الشعراء، الآية: 61.
(20) مفاتيح الغيب للفخر الرازي 24/ 192.
(21) سورة اتوبة، الآية: 40.
(22) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 8/ 57.

ويؤكد هذا المعنى ما ورد في السنة النبوية، فقد روى **البخاري** في صحيحه عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال : "قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: لو أنَّ أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما) "(23)
ويظهر من هذا الحديث أن النبي ﷺ استحضر المعية الإلهية بوصفها مصدر الطمأنينة والثبات في لحظة الخطر.

ثالثاً: الدلالات العقدية للمعية في سياق الابتلاء

إنَّ استقراء النصوص الشرعية يكشف عن جملة من الدلالات العقدية المرتبطة بالمعية الإلهية، من أهمها:

1. أنَّ المعية الإلهية تعزز الثقة بالله تعالى، إذ يشعر المؤمن بأنَّ الله مطلع على حاله وقريب منه بعلمه ونصره.
2. أنَّ المعية الربانية تمثل مصدر الطمأنينة والثبات في أوقات الشدة والاضطراب.
3. أن المعية الخاصة مرتبطة بصفات إيمانية كالصبر والتقوى، وهو ما يدل على أن نيل هذه المعية مرتبط بتحقق هذه الصفات في حياة المؤمن.

وقد أشار الجويني إلى أنَّ النصوص التي تدل على قرب الله من عباده ينبغي فهمها في إطار التنزيه، وأن المقصود بها قرب الرعاية والعناية لا القرب المكاني[24]
وهذا التفسير ينسجم مع القاعدة العقدية التي تقرر أن الله تعالى منزه عن المكان والجهة، وأن ما ورد في النصوص من ألفاظ القرب والمعية يجب حمله على ما يليق بجلاله.

رابعاً: منهج المفسرين والمتكلمين في فهم المعية

لقد تعامل المفسرون وعلماء الكلام مع مفهوم المعية الإلهية وفق منهج يقوم على الجمع بين إثبات النصوص وتنزيه الله تعالى.

فالمفسرون غالباً ما يفسرون المعية في ضوء السياق، فإذا وردت في سياق عام حملوها على العلم والإحاطة، وإذا وردت في سياق خاص حملوها على النصرة والتأييد.
وقد ذكر الجرجاني أنَّ من قواعد فهم النصوص العقدية النظر في السياق الذي وردت فيه، لأنَّ السياق كثيراً ما يكشف عن المعنى المراد[25].

أمَّا علماء الكلام فقد ركزوا على بيان أنَّ هذه المعية لا يجوز فهمها على نحو يقتضي الحلول أو الاتحاد، وقد أكد التفتازاني أنَّ طريق أهل السنَّة في مثل هذه النصوص هو إثباتها مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين[26]
وبذلك يظهر أنَّ منهج العلماء في هذا الباب يقوم على ثلاثة أصول رئيسة: إثبات النصوص، وفهمها في ضوء السياق، وتنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين.

المطلب الثالث: الابتلاء في السنن الإلهية وعلاقته بالمعية الربانية قراءة عقدية في حكمة الابتلاء

يمثل الابتلاء في التصور العقدي الإسلامي أحد السنن الإلهية الجارية في حياة الإنسان، وهو سنة ماضية لا تنفك عن مسيرة المؤمنين عبر التاريخ، وقد جاء القرآن الكريم مؤكداً هذا المعنى في مواضع كثيرة، مبيناً أنَّ الابتلاء ليس مجرد حادثة عارضة في حياة الإنسان، بل هو جزء من النظام الرباني الذي يجري به تدبير الله تعالى لشؤون خلقه، تحقيقاً لحكمٍ بالغة ومقاصد عظيمة، ومن هنا فإنَّ فهم العلاقة بين الابتلاء والمعية الإلهية يمثل بعداً مهماً في بناء التصور العقدي المتكامل، إذ تتجلى المعية الربانية في أشد لحظات الامتحان، فيتحول الابتلاء – في ضوء هذا الاستحضار الإيماني – إلى وسيلة لترسيخ اليقين وتعميق الصلة بالله تعالى.

أولاً: مفهوم الابتلاء في العقيدة الإسلامية

الابتلاء في اللغة مأخوذ من مادة (ب ل و)، وهي تدل على الاختبار والامتحان، قال ابن منظور : البلاء والابتلاء الاختبار والامتحان، يقال بلوت الرجل إذا اختبرته [27]وقد يستعمل الابتلاء في الخير كما يستعمل في الشر، لأنَّ المقصود به إظهار ما في نفس الإنسان من صبر أو شكر.

---

(23) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي (ﷺ) لو كنت متخذا خليلا، 5/ 7 برقم (3653).
(24) ينظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني ص 58.
(25) شرح المواقف للجرجاني 8/ 112 .
(26) شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص 89 .
(27) لسان العرب لابن منظور،14/ 85 .

أمَّا في الاصطلاح العقدي فيراد بالابتلاء ما يقدره الله تعالى على عباده من أحداث وأحوال يقصد بها اختبار إيمانهم وإظهار صدقهم وتمييز مراتبهم، وقد أشار علماء الكلام إلى أنَّ الابتلاء يدخل في باب أفعال الله تعالى المتعلقة بحكمته وتدبيره.

يقول الإيجي عند حديثه عن أفعال الله تعالى: إنَّ ما يجري في العالم من خير وشر إنَّما هو واقع وفق الحكمة الإلهية، وأنَّ ما يظهر للإنسان من المحن والشدائد قد يكون في حقيقته باباً للتمحيص والاختبار[28].

كما بيّن الجويني أن ما يقع في العالم من ابتلاءات لا يخرج عن مقتضى الحكمة الإلهية، لأن الله تعالى لا يفعل شيئاً عبثاً، بل يجري أفعاله على وفق العلم والحكمة [29]

ومن هنا يتضح أن الابتلاء في العقيدة الإسلامية ليس أمراً عشوائياً، بل هو جزء من النظام الإلهي الذي يقوم على الحكمة والعدل.

ثانياً: سننية الابتلاء في القرآن الكريم

أكد القرآن الكريم أنَّ الابتلاء سنة ماضية في حياة البشر، لا ينجو منها أحد، وأنَّها من السنن الإلهية التي تجري على المؤمنين كما جرت على الأمم السابقة.

قال تعالى: **(أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)**[30]

وقد ذكر الفخر الرازي أنَّ هذه الآية تدل على أنَّ الابتلاء شرط في تحقق الإيمان الصادق، لأنَّ الإيمان إذا لم يُمتحن بالشدائد لم يتبين صدقه من زيفه[31]

كما قال تعالى: **(وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ)** [32]

ويشير البيضاوي إلى أنَّ هذه الآية تبين أنَّ الابتلاء قد يكون بأنواع متعددة من الشدائد، وأنَّ المقصود منه إظهار صبر المؤمنين وثباتهم[33]

وقد أكد المفسرون أنَّ الابتلاء لا يختص بالمحن فقط، بل قد يكون بالنعم أيضاً. يقول النسفي في تفسير قوله تعالى:**{ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً}** [34]

: أي نختبركم بما يصيبكم من شدائد أو نعم لننظر كيف يكون شكركم وصبركم [35].

ومن خلال هذه النصوص يظهر أن الابتلاء سنة شاملة تشمل الإنسان في مختلف أحواله، وأنه وسيلة إلهية لتمييز المراتب الإيمانية بين الناس.

ثالثاً: علاقة المعية بالتمحيص والتمكين

إذا كان الابتلاء سنة إلهية ماضية، فإن المعية الربانية تمثل الجانب الإيماني الذي يرافق المؤمن في هذه السنّة. فالمعية الإلهية لا تعني رفع الابتلاء بالضرورة، بل قد تتجلى في أثناء الابتلاء من خلال الهداية والتثبيت والتأييد.

وقد أشار الرازي إلى أنَّ من حكم الابتلاء تمحيص المؤمنين، أي تخليص إيمانهم من الشوائب، حتى يظهر صدقهم وثباتهم [36]ويشير القرآن إلى هذا المعنى في قوله تعالى: **{ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ**[37]**}**

ويذكر القرطبي أنَّ التمحيص هو التطهير والتخليص، أي أنَّ الله تعالى يبتلي المؤمنين ليطهر قلوبهم من الشكوك والذنوب [38]

---

(28) المواقف في علم الكلام للإيجي ص 338.
(29) ينظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني ص 215 .
(30) سورة العنكبوت، الآية : 2.
(31) مفاتيح الغيب للفخر الرازي 25/ 21.
(32) سورة البقرة، الآية:155.
(33) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي 1/ 222.
(34) سورة الأنبياء، الآية 35.
(35) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي 3/ 142.
(36) ينظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي 9/ 46 .
(37) سورة آل عمران، الآية: 141.
(38) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 4/ 249.

ومن هنا تظهر العلاقة بين المعية والتمحيص، إذ إن المؤمن إذا استحضر معية الله تعالى أثناء الابتلاء ازداد يقينه وثباته، فتحول الابتلاء في حقه إلى وسيلة للترقي في مراتب الإيمان.

كما أنَّ الابتلاء قد يكون طريقاً إلى التمكين بعد الصبر والثبات. وقد أشار الجويني إلى أن الله تعالى قد يقدّر الشدائد على عباده ليبلغوا بها مراتب لا يبلغونها في حال الرخاء [39]

رابعاً: الفرق بين معية النصر ومعية الاختبار

من القضايا العقدية الدقيقة في هذا الباب التمييز بين معية النصر ومعية الاختبار.

فمعية النصر هي المعية التي يمد الله تعالى بها عباده المؤمنين بالنصرة والتأييد عند تحقق شروط الإيمان والصبر، ومن أمثلتها قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِين)

وقد ذكر التفتازاني أن هذه المعية تفيد المعونة والتوفيق، وهي معية خاصة تتعلق بالمؤمنين الذين تحققت فيهم صفات الإيمان والصبر [40]

أمَّا معية الاختبار فهي المعية التي تتجلى في علم الله تعالى وإحاطته بعباده أثناء وقوع الابتلاء، دون أن تقتضي رفع الابتلاء عنهم بالضرورة.

وقد أشار الجرجاني إلى أن معية الله تعالى لخلقه قد تكون بمعنى العلم والإحاطة، وقد تكون بمعنى النصرة والتأييد بحسب السياق [41]

ومن هنا يتبين أنَّ الابتلاء لا ينافي المعية الإلهية، بل قد يكون هو المجال الذي تتجلى فيه هذه المعية بأعمق صورها، إذ يشعر المؤمن في خضم الشدائد بأنَّ الله تعالى مطلع على حاله وقريب منه بعلمه ونصره.

المبحث الثاني: أثر استحضار المعية الإلهية في بناء اليقين العقدي زمن الابتلاء

المطلب الأول: المعية الإلهية ومقام اليقين التحليل العقدي للعلاقة بين الإيمان بالغيب والثقة بالله

يمثل اليقين في البناء العقدي الإسلامي المرتبة العليا من مراتب الإيمان، إذ به تستقر معاني العقيدة في القلب استقراراً يورث الطمأنينة والثبات، ويجعل المؤمن قادراً على مواجهة الشدائد والابتلاءات بروحٍ مطمئنة وثقة راسخة بالله تعالى، وقد اعتنى علماء العقيدة ببيان حقيقة اليقين ومراتبه وآثاره في حياة المؤمن، وعدّوه من أعظم ثمار المعرفة بالله تعالى والإيمان بالغيب، ومن هنا تتضح الصلة الوثيقة بين استحضار المعية الإلهية وبين ترسيخ مقام اليقين، إذ إنَّ شعور المؤمن بقرب الله تعالى منه بعلمه وتدبيره ونصره يعمّق في قلبه الثقة بالله، ويجعله أكثر ثباتاً في أوقات المحن والشدائد.

أولاً: مفهوم اليقين في العقيدة الإسلامية

اليقين في اللغة هو العلم الذي لا شك معه، قال ابن منظور : "اليقين نقيض الشك، وهو العلم الذي لا تردد فيه" [42] ويستعمل هذا اللفظ في القرآن الكريم للدلالة على أعلى درجات الإيمان التي يبلغها المؤمن عندما يطمئن قلبه إلى ما أخبر الله تعالى به.

أمَّا في الاصطلاح العقدي فإنَّ اليقين يراد به استقرار الإيمان في القلب استقراراً جازماً لا يخالطه شك، بحيث يورث صاحبه الطمأنينة والثبات في الاعتقاد والعمل، وقد أشار علماء الكلام إلى أنَّ اليقين يمثل الغاية التي يسعى إليها النظر الصحيح في دلائل العقيدة.

يقول الجويني عند حديثه عن المعرفة بالله تعالى: إنَّ المقصود من النظر والاستدلال هو الوصول إلى علمٍ جازم يطمئن إليه القلب ويزول معه التردد، وهذا هو اليقين الذي تقوم عليه حقيقة الإيمان [43]

كما يقرّر الإيجي أنَّ العلم اليقيني هو العلم الذي يستند إلى دليل صحيح يورث الجزم والطمأنينة، وهو الأساس الذي يقوم عليه الاعتقاد الصحيح [44] ومن هنا يتبين أنَّ اليقين في العقيدة ليس مجرد معرفة نظرية، بل هو حالة إيمانية عميقة تستقر في القلب، وتنعكس آثارها في سلوك المؤمن وثباته في مواجهة الابتلاءات.

ثانياً: مراتب اليقين في التصور العقدي

---

(39) ينظر: الإرشاد للجويني ص 221.
(40) ينظر: شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص 91 .
(41) ينظر: شرح المواقف للجرجاني 8/ 118.
(42) لسان العرب لابن منظور 13/ 453.
(43) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني ص 12 .
(44) ينظر: المواقف في علم الكلام للإيجي ص 20 .

ذكر القرآن الكريم لليقين مراتب متعددة، وقد بيّن العلماء أنَّ هذه المراتب تدل على تدرج المعرفة الإيمانية في نفس المؤمن حتى تبلغ كمالها، ومن أشهر هذه المراتب :علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

فالمرتبة الأولى هي علم اليقين، وهي المرتبة التي يحصل فيها العلم بالشيء عن طريق الدليل والخبر الصادق. وقد ورد هذا التعبير في قوله تعالى: (كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) .[45]

وقد ذكر الفخر الرازي أنَّ علم اليقين هو العلم الحاصل من الدليل، كعلم الإنسان بوجود النار من خلال الخبر أو البرهان [46]

أما المرتبة الثانية فهي **عين اليقين**، وهي المرتبة التي ينتقل فيها العلم من مجرد الاستدلال إلى المشاهدة. قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾.

ويشير البيضاوي إلى أن عين اليقين هي المعرفة التي تحصل بالمشاهدة المباشرة بعد أن كانت حاصلة بالاستدلال[47] .

أمَّا المرتبة الثالثة فهي حق اليقين، وهي أكمل مراتب اليقين، إذ يصل الإنسان فيها إلى حقيقة الشيء بعد أن كان يعلم به أو يراه. قال تعالى: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ).[48]

وقد ذكر التفتازاني أنَّ حق اليقين هو نهاية مراتب العلم، حيث يبلغ الإنسان درجة من الرسوخ في المعرفة لا يبقى معها مجال للشك أو التردد[49] ومن خلال هذا التدرج يتضح أن اليقين ليس مرتبة واحدة، بل هو مسار إيماني يتنامى فيه العلم حتى يبلغ أعلى درجاته.

ثالثاً: دور استحضار المعية الإلهية في ترسيخ اليقين

إن استحضار المعية الإلهية يمثل أحد العوامل الأساسية في ترسيخ اليقين في قلب المؤمن، لأن الشعور بقرب الله تعالى من عباده بعلمه ونصره يعمّق الثقة بالله ويزيل الخوف والاضطراب.

وقد أشار النسفي إلى أن استحضار صفات الله تعالى في قلب المؤمن يورثه الطمأنينة والثبات، لأنَّ معرفة الله تعالى على وجهها الصحيح هي أساس قوة الإيمان[50]

كما يبين الجرجاني أنَّ الإيمان إذا اقترن باليقين أورث صاحبه سكينة في القلب وثباتاً في المواقف الصعبة، لأنَّ اليقين يجعل المؤمن يعتمد على الله تعالى اعتماداً كاملاً [51]

ويظهر أثر هذا المعنى بوضوح في مواقف الأنبياء عليهم السلام في أوقات الشدة، حيث كان استحضارهم لمعونة الله تعالى ومعيته سبباً في ثباتهم وعدم اضطرابهم أمام الأخطار. وقد أشار **الرازي** إلى أن الأنبياء كانوا في أشد المواقف يقيناً بالله تعالى، لأنَّ معرفتهم بالله كانت أكمل من معرفة غيرهم[52]

ومن هنا فإنَّ استحضار المعية الإلهية لا يقتصر على الجانب النظري في العقيدة، بل يمتد أثره إلى الجانب العملي في حياة المؤمن، حيث يبعث في نفسه الطمأنينة والثقة بالله تعالى، ويجعله أكثر قدرة على مواجهة الابتلاءات بثبات ويقين.

المطلب الثاني: نماذج عقدية من القرآن في استحضار المعية زمن الشدائد

تمثل قصص الأنبياء في القرآن الكريم ميداناً خصباً لاستجلاء الحقائق العقدية التي يقوم عليها الإيمان بالله تعالى، إذ إنَّ القرآن لم يورد هذه القصص لمجرد السرد التاريخي، وإنما قصد بها ترسيخ معاني الإيمان واليقين في نفوس المؤمنين. ومن أبرز هذه المعاني استحضار المعية الإلهية في أوقات الشدة والابتلاء، حيث يظهر أثرها جلياً في ثبات الأنبياء عليهم السلام وطمأنينتهم رغم ما يحيط بهم من أخطار، ومن هنا فإنَّ دراسة هذه النماذج القرآنية تكشف عن البعد العقدي العميق للمعية الإلهية، وتبرز دورها في بناء اليقين في قلب المؤمن.

أولاً: معية الله للأنبياء في القرآن الكريم

---

(45) سورة التكاثر، الآية : 5.
(46) ينظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي 31/ 114.
(47) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي 5/ 338.
(48) سورة الواقعة، الآية: 95.
(49) شرح المقاصد للتفتازاني 1/ 276.
(50) العقائد النسفية للنسفي ص 12.
(51) شرح المواقف للجرجاني 1/ 58 .
(52) ينظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي 24/ 192.

يظهر في القرآن الكريم أنَّ الأنبياء عليهم السلام كانوا على وعي عميق بمعية الله تعالى لهم، وأنَّ هذا الاستحضار كان مصدر القوة والثبات في مواجهة الابتلاءات العظيمة التي تعرضوا لها، وقد أكد القرآن هذه الحقيقة في مواضع متعددة، حيث قرن الرسالة الإلهية بالعناية الربانية والتأييد الإلهي.

ومن ذلك قول الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام عندما أرسلهما إلى فرعون:

(قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى)[53] .

وقد ذكر الرازي أنَّ هذه الآية تتضمن وعداً إلهياً صريحاً بالمعية التي تقتضي الحفظ والتأييد، وأنَّ فيها طمأنة للرسولين في مواجهة طغيان فرعون [54]كما أشار البيضاوي إلى أنَّ المراد بهذه المعية هو معية العناية والرعاية، إذ إن الله تعالى مطلع على أحوال رسله، حافظ لهم من كيد أعدائهم[55]

وهذا المعنى يكشف عن حقيقة عقدية مهمة، وهي أن المعية الإلهية تمثل سنداً إيمانياً للأنبياء في أداء رسالتهم، وتمنحهم الثبات في مواجهة التحديات.

ثانياً: موقف موسى عليه السلام عند البحر

يعد موقف موسى عليه السلام عند البحر من أبرز النماذج القرآنية التي تجسد استحضار المعية الإلهية في لحظة الشدة. فقد كان بنو إسرائيل في موقف بالغ الصعوبة، إذ أدركهم فرعون وجنوده من خلفهم، بينما كان البحر أمامهم، حتى قال قوم موسى :(إِنَّا لَمُدْرَكُون).

إلا أن موسى عليه السلام أجابهم بثقة ويقين قائلاً: (كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ).

وقد وقف المفسرون عند هذه الآية طويلاً لما تحمله من دلالات عقدية عميقة، يقول الفخر الرازي : إنَّ موسى عليه السلام لم يعتمد في هذا الموقف على الأسباب الظاهرة، لأن جميع الأسباب كانت تشير إلى الهلاك، وإنما اعتمد على يقينه بمعية الله تعالى و هدايته[56]

كما يذكر النسفي أن قول موسى : إنَّ معي ربي سيهدين يدل على كمال الثقة بالله تعالى، لأنَّ الهداية هنا تعني النجاة من هذا الموقف العصيب[57].

وقد عقب القرآن هذا الموقف بحدوث المعجزة العظيمة، حيث أمر الله تعالى موسى أن يضرب البحر بعصاه فانفلق، ونجا بنو إسرائيل وغرق فرعون وجنوده. وهذا يبرز العلاقة الوثيقة بين اليقين بمعية الله وبين تحقق النصر الإلهي.

ثالثاً: موقف النبي ﷺ في الغار

من أعظم المواقف التي تجلت فيها المعية الإلهية في حياة النبي ﷺ موقف الهجرة النبوية، عندما لجأ النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه إلى غار ثور، وكان المشركون يطلبونهما حتى بلغوا باب الغار.

وقد وصف القرآن هذا الموقف بقوله تعالى: (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا).

وقد أشار القرطبي إلى أن هذه المعية معية حفظ ونصرة، إذ إن الله تعالى تولى حفظ نبيه وصاحبه من كيد المشركين[58]

كما جاء في السنة النبوية ما يوضح تفاصيل هذا الموقف، فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: (قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما)

وقد علّق **النووي** على هذا الحديث مبيناً أن فيه دلالة واضحة على كمال توكل النبي ﷺ وثقته بمعية الله تعالى، إذ كان مطمئناً رغم شدة الخطر [59]

وهذا الموقف يمثل نموذجاً عملياً لكيفية استحضار المعية الإلهية في لحظة الخطر، حيث تحولت هذه المعية إلى مصدر طمأنينة وثبات.

رابعاً: الدلالات العقدية لهذه النماذج

إن التأمل في هذه النماذج القرآنية يكشف عن عدد من الدلالات العقدية المهمة، من أبرزها:

---

(53) سورة طه، الآية 64.
(54) مفاتيح الغيب للفخر الرازي 22/ 51.
(55) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي 4/ 29.
(56) ينظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي 24/ 191.
(57) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي 3/ 301.
(58) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 8/ 57.
(59) شرح صحيح مسلم للنووي 16/ 40.

1. أن استحضار المعية الإلهية يمثل أحد أعظم مصادر الثبات الإيماني في أوقات الشدة.
2. أن الأنبياء عليهم السلام كانوا أعظم الناس يقيناً بالله تعالى، ولذلك كانوا أكثرهم ثباتاً في مواجهة الابتلاءات.
3. أنَّ المعية الإلهية لا تعني غياب الابتلاء، بل قد تتجلى في أشد لحظات الابتلاء حضوراً وتأثيراً.
4. أن اليقين بمعية الله تعالى يقود في كثير من الأحيان إلى تحقق النصر والنجاة، كما ظهر في قصتي موسى عليه السلام والنبي ﷺ.

وقد أشار التفتازاني إلى أنَّ قصص الأنبياء في القرآن الكريم تمثل أدلة عملية على آثار الإيمان الراسخ بالله تعالى، لأنها تبين كيف يتحول اليقين إلى قوة روحية تعين الإنسان على مواجهة الشدائد [60].

ومن هنا فإنَّ هذه النماذج لا تقتصر دلالتها على الجانب التاريخي، بل تحمل رسالة عقدية عميقة تتمثل في ترسيخ الثقة بالله تعالى في قلوب المؤمنين.

المطلب الثالث: المعية الإلهية وبناء الصلابة الإيمانية في مواجهة الأزمات المعاصرة

إنَّ العقيدة الإسلامية لم تُبنَ لتكون مجرد منظومة معرفية نظرية، وإنَّما جاءت لتشكّل إطاراً إيمانياً يوجّه حياة الإنسان ويمنحه القدرة على مواجهة تقلبات الحياة وأزماتها المختلفة، ومن بين المعاني العقدية التي يظهر أثرها بوضوح في هذا المجال مفهوم المعية الإلهية، إذ يمثل هذا المفهوم أحد المرتكزات الإيمانية التي تبعث في النفس الطمأنينة والثبات، وتعين المؤمن على تجاوز حالات القلق والاضطراب التي قد تعترض طريقه في مسيرة الحياة، ومن هنا فإنَّ استحضار المعية الإلهية لا يقتصر أثره على الجانب العقدي النظري، بل يمتد ليؤدي دوراً مهماً في بناء الصلابة الإيمانية التي تمكّن الإنسان من مواجهة الأزمات المعاصرة بثبات وثقة بالله تعالى.

أولاً: أثر العقيدة في مواجهة الاضطراب

تؤكد نصوص الوحي وأقوال العلماء أنَّ العقيدة الصحيحة تمثل الأساس الذي تقوم عليه طمأنينة النفس واستقرارها، لأنَّ معرفة الإنسان بربه وإدراكه لحقيقة تدبيره للكون يمنحه رؤية متوازنة لما يمر به من أحداث ومتغيرات.

وقد أشار أبو حامد الغزالي إلى هذا المعنى حين بيّن أنَّ معرفة الله تعالى إذا استقرت في القلب أورثت صاحبها طمأنينة وسكينة، لأنَّ القلب إذا تعلق بالله تعالى لم تضطربه تقلبات الدنيا [61]

كما يؤكد الماوردي أنَّ الإيمان الراسخ بالله تعالى يجعل الإنسان أكثر قدرة على مواجهة الشدائد، لأنَّ المؤمن يعلم أنَّ ما يجري في الكون إنَّما هو بتقدير الله تعالى وحكمته[62]

ويشير القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله تعالى:﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

وقد ذكر الطبري في تفسير هذه الآية أن الطمأنينة المقصودة هي سكون القلب وثباته عند ذكر الله تعالى ومعرفته[63]

ومن خلال ذلك يتبين أنَّ العقيدة ليست مجرد مجموعة من القضايا الذهنية، بل هي مصدر استقرار نفسي وروحي يقي الإنسان من الانهيار أمام الأزمات والاضطرابات.

ثانياً: دور الإيمان بالمعية في مقاومة القلق الوجودي

يعد الشعور بالقلق من أبرز الظواهر التي قد تواجه الإنسان عند تعرضه للأزمات أو عند إحساسه بالعجز أمام ظروف الحياة، غير أنَّ العقيدة الإسلامية تقدم معالجة عميقة لهذه الحالة من خلال ترسيخ الإيمان بقرب الله تعالى ومعيته لعباده. فالمؤمن الذي يستحضر معية الله تعالى يدرك أنَّ حياته ليست متروكة للصدفة أو الفوضى، بل هي واقعة في إطار العلم الإلهي والتدبير الرباني، وقد أشار القشيري إلى هذا المعنى عندما بيّن أنَّ من أعظم أسباب السكينة أن يعلم العبد أنَّ الله تعالى مطلع على أحواله وقريب منه بعلمه ورحمته [64].

كما يذكر أبو منصور البغدادي أن الإيمان بصفات الله تعالى – ومنها العلم والإحاطة – يورث العبد طمأنينة في قلبه، لأن المؤمن يعلم أن الله تعالى لا يغفل عن عباده ولا يتركهم دون عناية[65]

---

(60) ينظر: شرح المقاصد للتفتازاني 2/ 144 .
(61) إحياء علوم الدين للغزالي 4/ 248 .
(62) ينظر: أدب الدنيا والدين للماوردي ص 47.
(63) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري 13/ 121.
(64) ينظر: الرسالة القشيرية للقشيري ص 96.
(65) ينظر: أصول الدين للبغدادي ص 141.

وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا المعنى في قوله تعالى: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ).[66]
وقد ذكر الزمخشري أن هذه الآية تدل على كمال إحاطة الله تعالى بالإنسان علماً وقدرة، وأن المقصود بها بيان قرب العناية والتدبير [67]
وعندما يستحضر المؤمن هذا المعنى العقدي في حياته، فإنَّه يشعر بأنَّ الله تعالى قريب منه بعلمه وتدبيره، مِمَّا يخفف من حدة القلق ويمنحه قوة نفسية وروحية في مواجهة التحديات.

ثالثاً: المعية كمنظومة طمأنينة عقدية في الفكر الإسلامي

إنَّ مفهوم المعية الإلهية في الفكر الإسلامي لا يقف عند حدود بيان صفة من صفات الله تعالى، بل يتجاوز ذلك ليشكّل منظومة عقدية متكاملة للطمأنينة الإيمانية فالمعية الإلهية تجمع بين معاني العلم والإحاطة والرعاية والنصرة، وهذه المعاني مجتمعة تمنح المؤمن شعوراً عميقاً بالأمان الروحي.
وقد أشار ابن عطية الأندلسي إلى أنَّ الآيات التي تتحدث عن معية الله تعالى لعباده الصالحين تحمل معاني التأييد والعناية، وهي معانٍ تبعث في النفوس الثقة بالله تعالى والاعتماد عليه [68].
كما يؤكد البيجوري في شرحه لمباحث العقيدة أن معرفة العبد بصفات الله تعالى وما تدل عليه من الرحمة والعناية تورث في قلبه طمأنينة وثقة بالله تعالى [69]
ومن هنا يتضح أنَّ استحضار المعية الإلهية يمثل ركيزة مهمة في بناء الشخصية المؤمنة القادرة على مواجهة التحديات المعاصرة بثبات ويقين، فالمؤمن الذي يوقن بأنَّ الله تعالى معه بعلمه ورعايته لا ينهار أمام الأزمات، بل يتعامل معها بروح الصبر والثقة بالله.
وهذا المعنى يتجلى في التجربة التاريخية للمجتمعات الإسلامية، حيث كانت العقيدة دائماً مصدر قوة روحية مكّنت المسلمين من تجاوز كثير من المحن والشدائد.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة العلمية الممتعة بين آيات القرآن الكريم، وسيرة الأنبياء، واجتهادات علماء العقيدة الكبار، يتضح أنَّ المعية الإلهية ليست مجرد مفهوم نظري، بل هي ركيزة أساسية للطمأنينة والإيمان الراسخ في قلب المؤمن، فهي تمنح الإنسان القدرة على مواجهة الابتلاءات والأزمات بثبات وثقة بالله تعالى، وتحوّل المحن إلى فرصة لترسيخ اليقين وزيادة القوة الروحية.

ومن أهم النتائج التي خلص إليها البحث:

1. المعية الإلهية مفهوم عقدي أصيل يربط بين معرفة الله تعالى وبين شعور المؤمن بالقرب والطمأنينة.
2. المعية تشمل عامة بالإحاطة والعلم لجميع الخلق، وخاصة بالنصرة والتأييد للمؤمنين.
3. النصوص القرآنية والسنَّة تربط المعية بسياق الابتلاء لإظهار حكمة الله وتثبيت الإيمان.
4. الابتلاء سنَّة إلهية لتمييز الصادقين وتمحيص المؤمنين ورفع درجاتهم.
5. استحضار المعية يحوّل المحن إلى أدوات لترسيخ اليقين وتعميق الصلة بالله.
6. قصص الأنبياء تمثل نماذج عملية لكيفية الثبات والاعتماد على الله في أشد المواقف.
7. اليقين يمثل أعلى مراتب الإيمان، ويزداد قوة وثباتاً باستحضار المعية الإلهية.
8. استحضار المعية يمنح المؤمن سكينة القلب وقدرة على مواجهة القلق الوجودي والأزمات المعاصرة.
9. المعية تشكّل منظومة عقدية متكاملة للطمأنينة والثبات في السلوك الإيماني.
10. البحث أظهر أن استحضار المعية الإلهية يحوّل الإيمان من معرفة نظرية إلى قوة حية، تجسد ثبات المؤمن وقدرته على مواجهة الابتلاءات بثقة ويقين.

وبذلك يبرز البحث قيمة المعية الإلهية كعنصر محوري في بناء الصلابة الإيمانية، ويؤكد أن العقيدة ليست مجرد معرفة ذهنية، بل قوة روحية عملية تؤهل الإنسان للتعامل مع كل تحديات الحياة بثقة وطمأنينة لا تتزعزع.

المصادر والمراجع

---

[66] سورة ق، الآية: 16
(67) الكشاف. عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري 4/ 8 .
[68] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية 3/ 401 .
(69) تحفة المريد على جوهرة التوحيد للبيجوري ص 89.

القرآن الكريم

1. **الإبانة عن أصول الديانة**، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت 324هـ)، تحقيق: فؤاد سزكين، ط1، دار الأنصار، القاهرة، 1977م.
2. **إحياء علوم الدين**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت 505هـ)، ط3، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
3. **أدب الدنيا والدين**، علي بن محمد الماوردي (ت 450هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، ط1، دار الفكر، بيروت، 1987م.
4. **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت 478هـ)، تحقيق: محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1950م.
5. **أصول الدين**، عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت 429هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.
6. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ.
7. **تحفة المريد على جوهرة التوحيد**، إبراهيم بن محمد البيجوري (ت 1277هـ)، ط1، دار الفكر، بيروت، د.ت.
8. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م.
9. **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964م.
10. **الرسالة القشيرية**، عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت 465هـ)، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، ط2، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
11. **شرح العقائد النسفية**، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت 792هـ)، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ط1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1987م.
12. **شرح المقاصد**، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت 792هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1989م.
13. **شرح المواقف**، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت 816هـ)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
14. **شرح صحيح مسلم**، يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ)، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392هـ.
15. **صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)**، محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، بيروت، 1422هـ.
16. **العقائد النسفية**، نجم الدين عمر بن محمد النسفي (ت 537هـ)، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ط1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1987م.
17. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.
18. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت 711هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ط3، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
19. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي (ت 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
20. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، عبد الله بن أحمد النسفي (ت 710هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، ط1، دار الكلم الطيب، بيروت، 1998م.
21. **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، محمد بن عمر فخر الدين الرازي (ت 606هـ)، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.

22. **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، دمشق، 1412هـ.
23. **المواقف في علم الكلام**، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت 756هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط1، دار الجيل، بيروت، 1997م.